



يُستعمل هذا التعبير الاصطلاحي للدلالة على مدرسة إسلامية معاصرة تُنسب نفسها إلى اعتقاد السلف وتبني الجهاد والعمل المسلح طريقةً وحيدة للتغيير، ويعتبر تنظيم "القاعدة" أكبر تجلياتها في الوقت الحاضر. كثيرون لا يعرفون عن السلفية الجهادية إلا الاسم، فكيف ظلت وما هي أهم صفاتها؟ هذا هو الجواب بإيجاز.

-1-

أول ظهور على هذه المدرسة كان في مصر في نهاية سبعينيات القرن الماضي، عندما تكونت جماعة "الجهاد الإسلامي" باندماج مجموعتين جهadiتين ظهرتا قبل ذلك بسنوات في القاهرة والصعيد. في عام 1980 عرف الناس أصول الجماعة ومنهجها عندما نشر منظراً وأميرها محمد عبد السلام فرج كتاب "الفرجية الغائية"، وفي السنة التالية اغتالت إحدى خلاليها الرئيس السادات في حادثة المنشية المشهورة، وعلى إثرها أُعدم فرج مع خالد الإسلامبولي وأخرين. في أواسط الثمانينيات انتقل بعض قادة الجماعة إلى أفغانستان، وكان من ضمنهم أيمن الظواهري، ومن هناك انطلقت إلى العالمية بعد تأسيس تنظيم "القاعدة" سنة 1988 ثم بعد الإعلان عن "الجبهة الإسلامية العالمية لقتال اليهود والصلبيين" بعد ذلك بعشر سنوات.

-2-

ترتبط بالتنظيم فروع مباشرة في عدد من البلدان (كاليمن والمغرب العربي) وجماعات جهادية محلية في بلدان أخرى، كجماعة "أنصار الشريعة" في تونس وأنصار بيت المقدس" في سيناء، ومنها جماعة "جند أنصار الله" التي اصطدمت مع حركة حماس في رفح بقطاع غزة عام 2009. أما في سوريا فقد كانت "جبهة النصرة" هي فرع القاعدة الرسمي إلى وقت قريب، وبعد فك الارتباط الظاهري بالقاعدة انشق بعض قادة النصرة (وأكثراً أردنيون) وبدؤوا بالخطيط لإنشاء فرع

سوري جديد للقاعدة ربما حمل اسم "طلاب الشام". وتنظيم القاعدة هو الحاضنة التي ولدت وترعرعت فيها داعش، فهي التطور الطبيعي لتنظيم دولة العراق الإسلامية، ودولة العراق هي النسخة الموسعة والمطورة من تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين.

-3-

نبذت هذه المدرسة أكثر علماء العصر، وهي تُفسق وتکفر كثيراً منهم ولا تلتقي إلا من علمائها الذين حصلوا على الترکية والقبول، وهم قلة قليلة من علماء العالم الإسلامي، وأكثر علمهم محصور غالباً بمسائل الاعتقاد والجهاد والسياسة الشرعية. وتمتاز السلفية الجهادية بالتشدد والتعصب ورفض التدرج في الأحكام، وبالظاهرية الشديدة وبالشدة على المخالفين واحتکار فهم وتمثيل الدين، وأسوأ ما فيها الكبُر والإقصاء اللذان يحکمان علاقتها بسائر الجماعات والحركات الإسلامية.

-4-

من أظهر صفات هذه المدرسة "الغلو" الذي يمثل ركناً ركيناً في منظومتها الفكرية، فهي من أخصب البيئات إنتاجاً وتغذية واحتضاناً وتصديراً للغلو والغلاة في العالم الإسلامي، وهي توسع كثيراً في مسائل التکفير وتهان في الدماء، ومن أصول منهجها تکفير الأنظمة الحاكمة في جميع الدول العربية والإسلامية وتکفير الأجهزة الأمنية والعسكرية فيها، وينسحب هذا الحكم على الأعيان، من رئيس الدولة (کأردوغان على سبيل المثال) إلى أصغر جندي في الجيش وكل شرطي في الدولة.

-5-

تتبّنى هذه المدرسة مفهوم "الجهاد العالمي" الذي يخلط بين دفع العدو الصائل الذي يحتل بلدان المسلمين وقتل الحكومات والأنظمة الوظيفية في جميع البلدان العربية والإسلامية، فلا تفرق بين ساحة وساحة ولا بين عدو وعدو، بل ربما قدّمت قتال الأنظمة المحلية "المرتبة" على قتال العدو الخارجي "الكافر". كما أنها تعتمد مبدأ "التغلب" وتعتبره أسلوباً مشروعاً للوصول إلى السلطة، وهذا الاعتبار سهل عليها قتال مخالفيها لإخضاعهم وإقامة الدولة وفرض الشريعة بالقوة، كما صنعت داعش سابقاً في العراق ثم في سوريا وكما تصنع جبهة النصرة في سوريا في هذه الأيام.

-6-

وهي أقل المدارس الإسلامية اهتماماً بالدعوة الشعبية والعمل الحركي والمدني، بل يكاد تاريخها الدعوي يقترب من العدم المطلق، لأن طريقة أصحابها هي فرض الشريعة بالقوة، سواء اقتنع بها الناس أم لم يقتنعوا. وهم يفرضون عادة منهجاً متشددأً متنطعاً يتواافق مع غلوهم المعروف، وأكثر ما يهتمون به من مظاهر تطبيق الشريعة هو الحدود. بالمقابل فإن اهتمامهم بالقيم الإسلامية الإنسانية - كالعدل والشورى والكرامة والحرية والإنسانية - شبه معدوم، وتعاملهم مع جمهور المسلمين لا يختلف - من حيث الفوقيّة والوصاية والاستعلاء - عن تعامل سائر أنظمة الطغاة والمستبدّين.

من حساب الكاتب على تلغرام

المصادر: